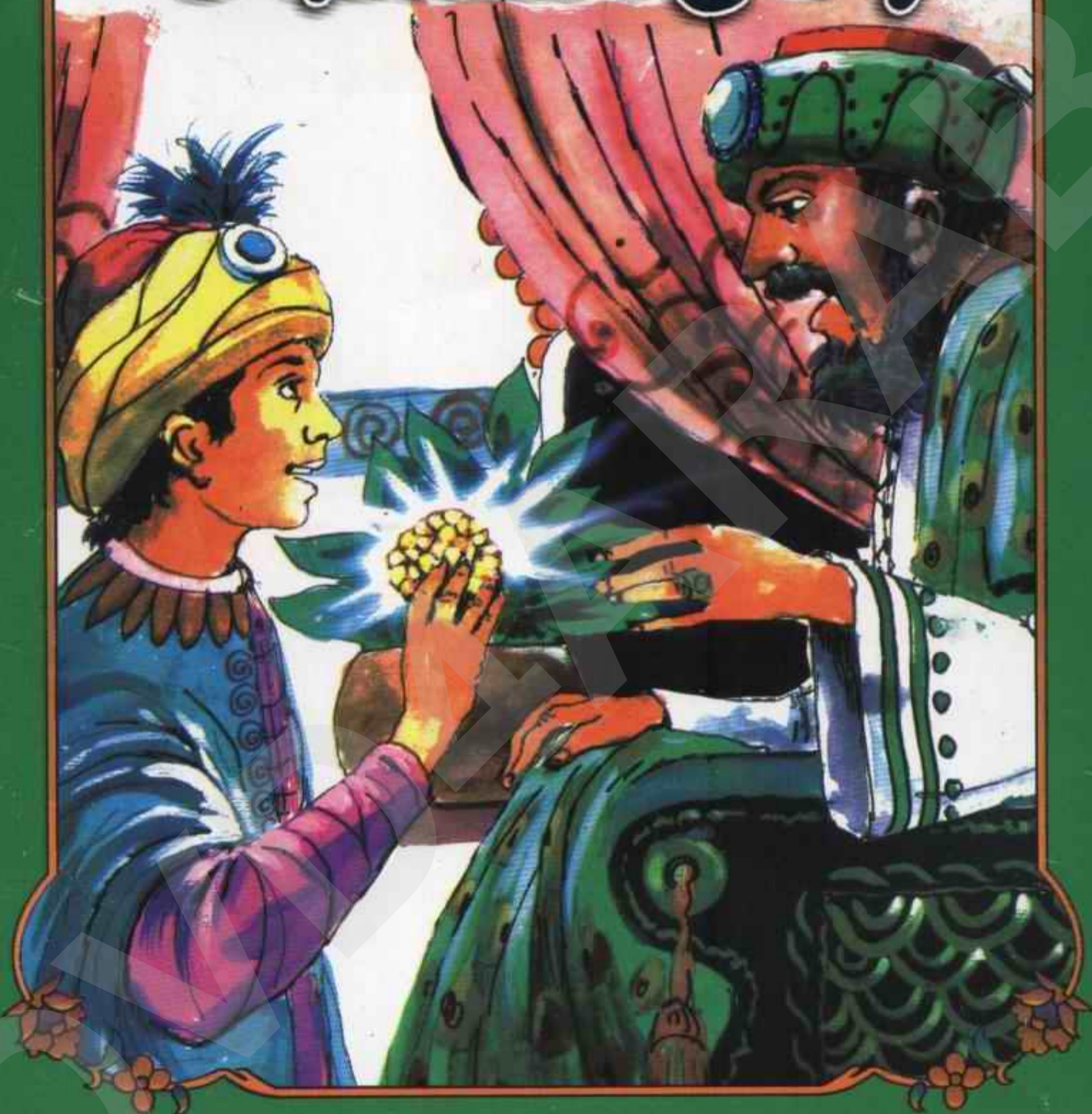


# الكسران ومناج السلطان



رسوم

أحمد أمين



دار المعارف

تأليف

يعقوب الشاروني

المكتبة الخضراء للأطفال

٦٢

# الكسرات ونأج السلطان



رسوم  
أحمد أمين

تأليف  
يعقوب الشاروني



## ① جَوْهَرَةٌ مَطْلُوبَةٌ

انطلقت ضحكات السلطان الأكبر « الخليفة هارون الرشيد » تعبر عن إعجابه الشديد بحكايات « أبو الأجراس » ، أظرف رواة النوادر والأخبار في بغداد عاصمة الخلافة ، وقد انطلق يلقيها في أداء تمثيلي ساخر أثناء ليلة من ليالي السمر الممتعة في القصر السلطاني .  
ولمَّح الخليفة الغلام « همدان » المكلف بالخدمة في بيت النساء ، الذي استأذن من سيده زبيدة زوجة الخليفة ؛ ليشارك في بهجة ليالي سيده ، فاستدعاه إلى جواره ليصدر إليه أمراً عاجلاً :  
« أسرع إلى سيدتك .. هي تحب الاستماع إلى نوادر « أبو الأجراس » ..  
قل لها الخليفة يدعوك للحضور ، وتأكد أن شرفة السيدات قد أعدتها الوصيفات لاستقبالها » .

وفوجئ الخليفة بعد قليل ، بدلاً من مجيء السيدة زبيدة لتجلس في الشرفة المخصصة لها ، بعودة « همدان » يحمل بين يديه تاجاً رائع الجمال من الذهب الخالص المرصع بالماس واللؤلؤ ، لكن هناك فجوة كبيرة خالية عند مقدمته في حجم بيضة الدجاجة !  
سأل الخليفة الغلام في دهشة : « هل أرسلت سيدتك بدلاً منها ، التاج الذي طلبت صنعه هدية لها ؟ ! »

أجاب الغلام : « سيدتي كانت تود الحضور يا مولاي ، وهديتك الكريمة تزين رأسها ، لكن الصائغ أعاده منذ قليل مع رسالة تقول إنه لم يعثر على جوهرة كبيرة تناسب مكانها عند مقدمة التاج » !

وفهم الخليفة أن زبيدة تعاتبه لانشغاله عن متابعة إتمام صنع  
هديته إليها ، فأشار بيده ليتوقف الاحتفال ، ولم يسمح باستئنافه



إلا بعد أن استدعى الحُجَّابَ والمُساعدِينَ ، وطلبَ مِنْهُم البحثَ  
بِسُرْعَةٍ عَنِ الْجَوْهَرَةِ الْمَطْلُوبَةِ .



وانتظر كبير الحجاب حتى انتهى الاحتفال ، فاستأذن ليخبر  
مؤلاه أنهم سألوا التجار والخبراء وبحثوا عند الصائغين وجامعي  
التحف ، فلم يجدوا الجوهرة التي تناسب مكانها في التاج .  
امتلات نفس الخليفة بضيق شديد عبر عنه غضباً : « كيف أكون  
سُلطانَ أعظم دولة في العالم وأفشل في الوصول إلى جوهرة » ؟!  
قال كبير الحجاب : « إذا كنا لم نعثر عليها في بغداد يا مولاي  
فقد نجدُها في البصرة .. أخبرني شهبندر التجار أن الأمل الوحيد  
في الوصول إلى الجوهرة لن يكون إلا عند رجل واحد من أغنياء  
البصرة اسمه « عبد السلام الكسلان » .  
وفي الحال أمر الخليفة « مسرور السيف » حارسه الخاص  
بالتوجه فوراً إلى مدينة البصرة ، الميناء الرئيسي للعراق ، على  
ألا يعود إلا في صحبته ذلك الرجل .

## ٢) أعجب حكاية

بمجرد عودة مسرور من البصرة توجه فوراً لمقابلة مؤلاه .. قال :  
« أحضرت الرجل معي وهو ينتظر الإذن للوقوف أمامكم ، لكن  
ما رأيته عنده يفوق كل وصف .. »  
سأله الخليفة مستنكراً : « لم أعود منك المبالغة يا مسرور !  
قال مسرور : « لست أبالغ يا مولاي .. إنه ليس غنياً فقط ، بل هو  
أغنى الأغنياء .. ليس هناك أفخم من داره إلا قصر الخلافة ..

أطباق طعامه كلها من ذهب وسرج حصانه مزين بالماس واللؤلؤ ..  
ملا بسه جديرة بإمبراطور الصين .. حتى حوائط حمام داره مكسوة  
بالرخام النادر الثمين المطعم بالذهب والفضة ..  
عندئذ سمح الخليفة بدخول الرجل أمامه .

أبدى « عبد السلام » عظيم احترامه لسيّد البلاد ، وعندما سمح له  
الرّشيد بالجلوس ، اختار مقعداً جلس في حرص على حافته ، وقد  
سيطرت عليه هيبة الخلافة .

فلما أذن له الخليفة بالحديث ، قال في ثقة من يحترم نفسه قبل  
أن يحترمه الآخرون : « يا أمير المؤمنين ، جئت معي بهدية ، هل  
تسمح لي بإحضارها ؟ »



فلَمَّا جَاءَ بِهَا غُلْمَانُهُ فِي صِنَادِيقٍ فَآخِرَةٍ ، أَخْرَجَ عِدَدًا



مِنَ التُّحَفِ الْغَرِيبَةِ الْمُبْهَرَةِ ،  
بَيْنَهَا أَشْجَارٌ مِنَ الذَّهَبِ ،  
أوراقُهَا زَمْرَدٌ أَخْضَرٌ ، وَثَمَارُهَا  
يَاقوتٌ أَحْمَرٌ وَلَوْلُوٌّ أبيضٌ .

قالَ عبدُ السلامِ : « مَوْلَاي ..  
أَحْمِلْ إِلَيْكُمْ هَذِهِ الْهَدَايَا  
لَا خَوْفًا مِنْ ذَنْبٍ وَلَا طَمَعًا  
فِي مُكَافَأَةٍ ، لَكِنِّي رَجُلٌ  
بَسِيطٌ لَا تُنَاسِبُنِي مِثْلُ هَذِهِ التُّحَفِ ..  
إِنَّهَا جَدِيرَةٌ - فَقَطٌ - بِمَوْلَاي  
السُّلْطَانِ الْأَكْبَرِ » .

تَعَجَّبَ الرَّشِيدُ أَشَدَّ الْعَجَبِ فِيسَأَلُ عَبْدَ السَّلَامِ :

« مِنْ أَيْنَ لَكَ كُلُّ هَذَا ، وَالنَّاسُ لَا تَعْرِفُكَ إِلَّا بِلِقَبِ « الْكَسْلَانِ » ؟!  
كَمَا أَخْبَرُونِي أَنَّ وَالِدَكَ ظَلَّ طَوَالَ حَيَاتِهِ حَلَّاقًا وَلَمْ يَتْرِكْ مِيرَاثًا ؟!  
عِنْدِي سَمِعَ الْخَلِيفَةُ أَعْجَبَ حِكَايَةَ يُمَكِّنُ أَنَّ يَسْمَعُهَا إِنْسَانٌ .

### ٣ الطَّيِّبُ يُؤَنِّبُ وَالِدَتِي

قالَ عبدُ السلامِ الْكَسْلَانُ :

صَحِيحٌ مَا بَلَغَكَ يَا مَوْلَايَ مِنْ رَحِيلِ وَالِدِي عَنِ الدُّنْيَا وَأَنَا صَغِيرٌ لَمْ  
أَتَجَاوِزِ الْخَامِسَةَ ، وَهُوَ لَا يَمْلِكُ مَالًا وَلَا عَقَارًا ، فَقَدْ اشْتَغَلَ



حلاقًا فقيرًا في حمام عمومي .

وحتى الآن يعرفني الناس باسم « الكسلان » ، ففي طفولتي كنت أكثر الناس كسلًا . ووصل بي الكسل أنني إذا نمت يومًا فوق سطح بيتنا في يوم من أيام الحر ثم غمرتني أشعة الشمس ، أكسل ولا أنتقل إلى الظل .

أية حركة أقوم بها تسبب لي آلامًا في كل أجزاء جسمي ، وأشعر بأعضائي مفككة فلا أقدر على بذل أي مجهود .

وكلما تحدثت إلى والدتي عما أعاني تنهرني وتقول :

« أنت تبرر كسلك .. قلة حركتك سبب آلامك .. »

عندئذ قررت تحمل آلامي صامتًا والتوقف عن الشكوى ، ولم تعد

لي حيلة في تغيير لقب « الكسلان » الذي عرفني به أهل البصرة .

وذات يوم جاء طبيب عالم ليعالج جارًا لنا من أصدقاء طفولته ،

فقلت والدتي : « قم معي نذهب إليه لعله يعرف سبب كسلك » .

لكنني تكاسلت عن القيام معها ، فأقسمت إذا لم أخرج معها فلن

تطعمني أو تسقينني ولن تستجيب لأي نداء مني ، بل ستتركني أموت

جوعًا وعطشًا !



وخشيتُ أن تُنفذَ وعيدها ، فطلبتُ منها مُساعدتي لأقعدَ ،  
فأقعدتني ودموعي تنحدرُ لما أحسُّ به من آلام ، ثم رجوتُها إحضارَ  
ما أنتعله ، فجاءتُ به . وأن تعاونني لوضعه في قدمي ، ففعلتُ .  
ثم قلتُ : « احمليني لكي ترفعيني من فوق الأرض » ،  
فرفعتني .

طلبتُ منها : « اسنديني لأمشي » ، فأسندتني حتى خرجنا وأنا  
أكادُ أقعُ مع كل خطوة .

ومَا إن دخلنا بيتَ جارنا حتى سقطتُ على الأرضِ كأنني كيسٌ من  
التيابِ البالية !!

سألَ الطبيبُ : « مَنْ هذا » ؟

قالَ له أهلُ الدارِ : « هذا جارنا عبدُ السلامِ الكسلانُ .. لم نره  
يخرجُ أبداً من بيته إلا هذه المرة » .

أثارتُ حالتي انتباهَ الطبيبِ ، فاستمعَ من والدتي إلى ما كانتُ  
تسميه « كسلي » ، ففوجئتُ بالطبيبِ يقولُ لها في تأنيبٍ :

« كيف تنسبونَ حالةَ ابنِكِ كلَّ هذه السنواتِ إلى الكسلِ  
وحدهُ ؟! هذا الذي تُسمونه كسلاً هو علامةٌ خطيرةٌ من علاماتِ مرضٍ  
في الأعضاءِ الداخليةِ .. اتركيه هنا عندَ أصدقائي وسأعطيه الدواءَ  
والغذاءَ المناسبين ، ثم أتابعُ أثرَ علاجي ، فهذا مرضٌ أريدُ وصفَهُ  
وبيانَ أثرِ علاجي له في كتابِ أقومُ بتأليفِهِ عن مختلفِ الأمراضِ » .  
لن أنسى فضلَ هذا الرجلِ الجليلِ ، فمع كلِّ علمِهِ وشهرتهِ كانَ

يقضى الساعات يُعطينى الدواء فى مواعيد معلومة ، ويعاوننى  
لأتناول أطعمةً اختارها بعناية ومشروبات أعدّها فى دقةٍ وصبرٍ .  
لو كنتُ ابنه لما بذل له من اهتمام أفضل ممّا أعطانى !  
ولم يتركنا إلا لضرورة السفر ، بعد أن بدأت آلامى تخفُّ وكسلى  
يزولُ واستعدتُ قدرتى على تحريك أعضائى ، والاعتماد على نفسى  
للخروج وحدى من بيتنا .



## ٤ خَمْسَةُ دَرَاهِمٍ

عندما بدأتُ أخرجُ ، أثارَ انتباهي سيدةٌ عجوزٌ رأيتها مُلقاةً فوقَ فراشٍ قديمٍ ، بجوارِ بيتٍ عندَ نهايةِ الطريقِ الذي نَسكنُ فيه .



سألتُ جيرانَهَا فَعَرَفْتُ أَنَّهَا مُصَابَةٌ مِنْذُ سِنَوَاتٍ بِشَلَلٍ أَقْعَدَهَا  
عَنِ الْحَرَكَةِ ، بَيْنَمَا أَبْنَاؤُهَا قَدْ شَغَلَهُمْ عَنْهَا عَمَلُهُمْ فِي أَمَاكِنَ  
بَعِيدَةٍ .

عِنْدئِذٍ قَرَّرْتُ رَدَّ جَمِيلِ الطَّبِيبِ الَّذِي عَاوَنَنِي عَلَى الشِّفَاءِ .. سَأُصْبِحُ  
كَابِنٌ لِهَذِهِ السَّيِّدَةِ .. اسْتَعْنَتْ بِجِيرَانِهَا لِنَقْلِهَا مِنَ الشَّمْسِ إِلَى  
الظِّلِّ ، وَمِنْ خَارِجِ بَيْتِهَا إِلَى دَاخِلِهِ .. تَعَلَّمْتُ كَيْفَ أُسْقِيهَا الْمَاءَ  
وَأَنَاوِلُهَا الطَّعَامَ .. عَرَفْتُ طَرِيقَةَ الِاسْتِجَابَةِ لِمُخْتَلِفِ احْتِيَاجَاتِهَا .  
وَعِنْدَمَا رَأَى الْجِيرَانُ مَدَى التَّفَانِي الَّذِي أَبْذَلَهُ فِي خِدْمَتِهَا ،  
سَاعَدَنِي كُلُّ وَاحِدٍ بِقَدْرِ مَا يَسْتَطِيعُ .

وِظَلَلْتُ أَعْمَلُ جَهْدِي لِلتَّخْفِيفِ عَنْ تِلْكَ السَّيِّدَةِ ، حَتَّى وَصَلْتُ  
حَيَاتِهَا إِلَى نَهَائِتِهَا بَعْدَ عِدَّةِ شَهُورٍ .

وَقَبْلَ رَحِيلِهَا بِأَيَّامٍ قَلِيلَةٍ كَشَفْتُ لِي عَنْ سِرِّهَا الْوَحِيدِ ..  
أَخْبَرْتَنِي أَنَّ كُلَّ مَا أَحْتَفِظْتُ بِهِ مِنْ نَقُودٍ قَدْ خَبَّأَتْهُ فِي حَشْوِ فِرَاشِهَا  
الْمُتَهَالِكِ ، وَلَأَنَّي أَخْلَصْتُ فِي اهْتِمَامِي بِهَا ، فَهِيَ تَتْرَكُ لِي بَعْدَ  
وَفَاتِهَا جَمِيعَ مَا أَجَدُهُ هُنَاكَ .

لَمْ أَتَوَقَّعْ مَعَ فَقْرِهَا الْعَثُورَ عَلَى شَيْءٍ كَثِيرٍ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ الْمَفَاجَأَةَ  
فِي النِّهَايَةِ كَانَتْ كَبِيرَةً ..

لَمْ أَجِدْ إِلَّا « خَمْسَةَ دَرَاهِمٍ » فَقَطْ كَانَتْ كُلُّ مَا تَرَكْتُهُ ، لَكِنِّ حَالَتِهَا  
الْعَقْلِيَّةُ فِي نِهَائِةِ أَيَّامِهَا ، صَوَّرَتْ لَهَا دَرَاهِمَهَا الْقَلِيلَةَ عَلَى أَنَّهَا ثَرَوَةٌ  
تَمْنَحُنِي إِيَّاهَا !!

## ⑤ شَيْءٌ مِنَ الصِّينِ

رَجَعْتُ بِالدِّرَاهِمِ الْخَمْسَةِ إِلَى وَالِدَتِي .  
كَانَتْ عَائِدَةً لَتَوْهَا مِنْ عَمَلِهَا فِي بَيْتِ أَحَدِ أَغْنِيَاءِ التُّجَّارِ .  
مَا إِنْ سَمِعَتْ مِنِّي قِصَّةَ الدِّرَاهِمِ الْخَمْسَةِ حَتَّى قَالَتْ فِي  
حِمَاسٍ :

« هَذِهِ نَقُودٌ قَلِيلَةٌ ، بَلْ قَلِيلَةٌ جَدًّا ، لَكِنِّهَا جَاءَتْ بَعْدَ عَمَلٍ  
مُخْلِصٍ صَادِقٍ .. هِيَ نَقُودٌ مُبَارَكَةٌ .. سَمِعْتُ مِمَّنْ كُنْتُ أَعْمَلُ الْيَوْمَ  
فِي بَيْتِهِمْ أَنَّ التَّاجِرَ الْمَشْهُورَ الشَّيْخَ « عَبْدَ الظَّافِرِ » اعْتَزَمَ السَّفَرَ  
إِلَى الصِّينِ ، وَسَتُغَادِرُ سَفِينَتُهُ الْمِينَاءَ فَجَرَ الْغَدِ .. هَذَا الشَّيْخُ  
مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ وَيُحِبُّ الْفُقَرَاءَ ، وَيَتَفَاءَلُ فِي سَفَرِهِ بِكُلِّ خِدْمَةٍ  
يُقَدِّمُهَا إِلَيْهِمْ .. خُذْ هَذِهِ الدِّرَاهِمَ الْخَمْسَةَ وَتَعَالَ نَذْهَبْ إِلَيْهِ  
نَطْلُبُ مِنْهُ شِرَاءَ شَيْءٍ لَكَ مِنَ الصِّينِ ، إِذَا بَعْنَاهُ قَدْ نَحْصَلُ عَلَى  
بَعْضِ الرِّبْحِ » .

تَوَجَّهْتُ مَعَ وَالِدَتِي إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ ، فَسَلَّمْنَا عَلَى الشَّيْخِ  
وَسَأَلْتُهُ :

« يَا عَمَّ .. هَلْ تَسْمَحُ مَشَاغْلِكَ أَنْ تَهْتَمَّ بِطَلْبِ صَغِيرٍ لَصَبِيٍّ فَقِيرٍ  
يَحْتَاجُ إِلَى مَعُونَتِكَ » ؟

أَجَابَ فِي تَرْحِيبٍ أَبْوَى : « اذْكَرْ حَاجَتَكَ وَبِإِذْنِ اللَّهِ أَسْتَطِيعُ

مَعَاوَنَتَكَ » .

قُلْتُ : « خُذْ يَا عَمَّ هَذِهِ الدَّرَاهِمَ القَلِيلَةَ ، وَاشْتَرِ لِي بِهَا شَيْئًا مِنْ  
بِلَادِ الصِّينِ ، لَعَلَّ اللَّهَ يَجْعَلُهَا سَبَبًا لِرَبِيحٍ يُعِينُنِي أَنَا وَوَالِدَتِي عَلَى  
الحَيَاةِ » .

لم يسخر الشيخُ من ضآلةِ المبلغِ ولا من صِغَرِ سِنِّي وفقرِي ، بلُ  
سألَ أصحابَهُ الذينَ التفؤوا حولَهُ : « هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا الشَّابَّ ؟ »  
قَالُوا : « هُوَ مَشْهُورٌ بِاسْمِ « عَبْدِ السَّلَامِ الكَسْلَانِ » ، لَكِنَّهُ تَرَكَ  
الكَسَلَ أخيرًا ، وَرَعَى بِإِخْلَاصٍ شُئُونَ سَيِّدَةٍ عَجُوزٍ مَرِيضَةٍ ، حَتَّى  
أَصْبَحَ قُدُوةً نَحْكِي عَنْهَا لِأَبْنَائِنَا » .



عندئذ مدَّ الشيخُ يدهُ وتناولَ الدراهمَ وهو يقولُ في إعجابٍ :  
« بَارَكَ اللهُ فِيكَ وَفِي دِرَاهِمِكَ يَا عَبْدَ السَّلَامِ .. »

## ٦ أول الأرباح

سافر الشيخُ على سفينتهِ المُحمَّلةِ بالبضائعِ ومعه جماعةٌ كبيرةٌ  
من التُّجَّارِ . وبعدَ مواجهةِ عواصفِ البحرِ وغضبِ المُحيطِ أسابيعَ  
طويلةً ، وصلوا إلى الصينِ .





وتنقلوا من ميناء إلى ميناء على شواطئ ذلك البلد الغني العريق ،  
يبيعون بربح كبير ما جلبوه معهم من منتجات بلاد الخلافة  
ومصنوعاتها الدقيقة ، ويشترون كل غريب وعجيب مما يتنافس عليه  
الأثرياء في بلاد الخليفة العظيم .

وبعد أن وفقهم الله في بيع ما أحضروا أخذوا يملئون السفينة  
بما اختاروا من تحف مرتفعة القيمة خفيفة الوزن ، بدعوا رحلة العودة .  
سارت بهم السفينة ثلاثة أيام عصبية ، واجهت خلالها عاصفة  
رعدية ممطرة شديدة ، مزقت قماش أكبر شراع ، وغمرت السفينة  
بالماء أكثر من مرة ، وكادت تقلبها ذات مساء .  
وعند صباح اليوم الرابع فوجئ التجار بالشيخ « عبد الظافر » يعلن  
لهم قراراً خطيراً شديد الغرابة :

« لا بد من العودة إلى شواطئ الصين ! »

صاحوا جميعاً في احتجاج غاضب :

« ليس هناك ما يبرر هذا القرار الغريب الذي يعرضنا لمخاطر

مهلكة ! »

قال الشيخ في تصميم : « شغلتنا حسابات الربح والخسارة عن  
فعل الخير .. الله عز وجل لن يغفر لنا نسيان الفقراء ، ونحن نسعى  
لزيادة أرباحنا ! »

قالوا في صوت واحد : « لم ننس شيئاً !! »

قال الشيخ وهو يشعر بتأنيب الضمير : « بل ضاعت من ذاكرتنا

الرسالة التي حملناها من الشاب عبد السلام الكسلان ! »

صاح واحدٌ من التُّجَّارِ كانَ أَكْثَرَهُمْ سُخْطًا :  
« نرجعُ كلَّ ما قطعناه مِن هَذِهِ الرَّحْلَةِ الْخَطِرَةِ لِأَجْلِ خَمْسَةِ دِرَاهِمٍ

تافهةً !؟

ثلاثةُ أَيامٍ لِلْعُودَةِ إِلَى الصِّينِ ، وَثَلَاثَةُ مِثْلُهَا لِنَعُودِ إِلَى مَوْضِعِنَا هَذَا  
فِي سَبِيلِ مَا يُسَاوِي ثَمَنَ خَمْسَةِ أَرْغَفَةٍ مِنَ الْخَبِزِ !؟  
هَذَا شَيْءٌ لَنْ يَرْضَى عَنْهُ أَحَدٌ !

قالَ الشَّيْخُ فِي صَوْتِ حَاسِمٍ :

« إِهْمَالُ الْفُقَرَاءِ مَجْلِبَةٌ لِلْحُظِّ السَّيِّئِ .. الْوَعْدُ وَعَدُّ حَتَّى لَوْ تَعَلَّقَ  
الْأَمْرُ بِدِرْهَمٍ وَاحِدٍ ! .. تَذَكَّرُوا .. نَحْنُ نَواجِهُهُ غَدَرَ الْبَحْرِ .. لَا مَفْرَأَ  
مِنَ الْعُودَةِ !

عندئذٍ تَأَكَّدَ بَقِيَّةُ التُّجَّارِ مِنْ تَصْمِيمِ الشَّيْخِ عَلَى قَرَارِهِ ، فَاجْتَمَعُوا  
وَتَشَاوَرُوا ، ثُمَّ أَعْلَنُوا قَرَارَهُمْ لِلشَّيْخِ :  
« خُذْ مِنَّا أضعافَ أكبرِ رِبْحٍ تَتَوَقَّعُ أَنْ تُحَقِّقَهُ الدِرَاهِمُ الْخَمْسَةُ ،  
لَكِنْ دَعْنَا نَواصِلُ طَرِيقَنَا .

فِي تَصْمِيمِ قَالَ الشَّيْخُ وَهُوَ يَضَعُ صَنْدُوقًا كَبِيرًا أَمَامَهُمْ :

« ادْفَعُوا الْآنَ لِحَسَابِ الْكَسْلانِ مَا تَرْضَى عَنْهُ ضَمائِرُكُمْ .

وَفِي الْحَالِ تَجَمَّعَتْ فِي الصَنْدُوقِ أَمْوَالٌ طَائِلَةٌ تُسَاوِي فِي نَظَرِ مَنْ  
دَفَعُوهَا مَا يُعَادِلُ تَفادِي سِتَّةِ أَيامٍ مِنْ أخطارِ الْبَحْرِ وَأَهْوالِهِ ، وَهِيَ  
أخطارٌ لَا يُقَدَّرُ مَدَى الرعبِ الَّذِي تُثِيرُهُ ، إِلَّا مَنْ عانى الصِّراعَ لِأَجْلِ  
الْحَيَاةِ أَثناءَ الإبحارِ سِتَّةِ أَيامٍ فِي بَحْرِ هائجٍ !



## ٧ قَرَدٌ مَنُتَوِّفُ الشَّعْرِ

وَأَصَلَتْ السَّفِينَةُ سَيْرَهَا حَتَّى اقْتَرَبَتْ مِنْ جَزِيرَةٍ مَزْدَحْمَةٍ بِالسُّكَّانِ ،  
رَسَتْ عِنْدَهَا وَنَزَلَ التُّجَّارُ إِلَى شَاطِئِهَا ، حَيْثُ وَجَدُوا أَهْلَهَا يَبِيعُونَ  
اللَّائِي ، فَأَخَذُوا يَخْتَارُونَ مِنْهَا مَا يُعْجِبُهُمْ وَيَشْتَرُونَ .  
أَمَّا الشَّيْخُ عَبْدُ الظَّافِرِ ، فَقَدْ صَحِبَ البَحَّارَةَ إِلَى السُّوقِ لِشِرَاءِ  
أَطْعَمَةٍ طَازِجَةٍ ، وَهَنَّاكَ جَذَبَ انْتِبَاهَهُ رَجُلٌ يَجْلِسُ وَحَوْلَهُ قُرُودٌ  
كَثِيرَةٌ يَبِيعُهَا لِأَهْلِ الجَزِيرَةِ ، الَّذِينَ يَعْتَبِرُونَهَا حَيَوَانَاتٍ أَلِيفَةً يَلْعَبُ  
أَطْفَالُهُمْ مَعَهَا .

وجذب انتباهه قردٌ منتوف الشعر يلتصق بالبائع لا يفارق  
مجلسه ، ما إن ينشغل صاحبه مع أحد المشترين حتى تنقض بقية  
القروود عليه تشدُّ شعره وتنتفه ، فيقوم صاحبها بضربها لإبعادها عنه .  
كان واضحاً رفض القروود للقردِ منتوف الشعر ، تراه غريباً عنها  
كأنه لا ينتمي إلى نفس نوعها .

والمدهش أن القردَ المضطهد تنبّه إلى اهتمام الشيخ به ، فأخذ  
يُطيل النظر إليه كأنما يستعطفه أو يطلب إنقاذه مما يعانى !  
أشفق الشيخ عبد الظافر على ذلك القرد ، فاقترَب من البائع



يُبْلِغُهُ عَرْضَهُ الَّذِي طرأَ عَلَى خَاطِرِهِ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ :

« هَلْ تَبِيعُنِي هَذَا الْقَرْدَ لَصَبِيَّ يَتِيمٌ بِخَمْسَةِ دِرَاهِمٍ ؟ »

قَالَ الْبَائِعُ فِي مُحَاوَلَةٍ لِلْمُسَاوَمَةِ : « هَذَا نِصْفُ الثَّمَنِ الَّذِي أُبِيعَ بِهِ غَيْرُهُ مِنْ قُرُودٍ . »

تَمَسَّكَ عَبْدُ الظَّافِرِ بِمَا عَرَضَ : « أُرِيدُ إِنْقَاذَهُ مِنْ عُدْوَانِ بَقِيَّةِ الْقُرُودِ عَلَيْهِ ، كَمَا أَعَاوَنُكَ حَتَّى تَتَفَرَّغَ لِلزَّبَائِنِ وَتَتَوَقَّفَ عَنْ ضَرْبِ حَيَوَانَاتِكَ . »

وَوَجَدَ الشَّيْخُ أَنَّ الْبَائِعَ لَا يَزَالُ يُفَكِّرُ ، فَأَضَافَ :

« وَلَسْتُ أَظُنُّ أَحَدًا سَيَدْفَعُ فِيهِ أَىِّ ثَمَنِ وَهُوَ يَبْدُو كَالْأَجْرَبِ بِهَذَا

الشَّعْرَ الْمَنْتَوِفِ !! »

كَانَتْ هَذِهِ الْحِجَّةُ حَاسِمَةً ، فَزَالَ تَرَدُّدُ الْبَائِعِ وَأَعْلَنَ مَوَافَقَتَهُ :

« بَعْتُكَ هَذَا الْقَرْدَ بِالثَّمَنِ الَّذِي عَرَضْتَهُ ، بَارَكَ اللَّهُ فِيهِ لِمَنْ اشْتَرَاهُ . »

وَتَسَلَّمَ الشَّيْخُ الْقَرْدَ الْبَائِسَ ، فَدَهَشَ عِنْدَمَا وَجَدَهُ يُمَسِّكُ يَدَهُ وَيَسِيرُ

إِلَى جَوَارِهِ شَبَهَ مُنْتَصِبِ الْقَامَةِ ، فَضَحِكَ وَقَالَ يَتَأَمَّلُهُ :

« بَقِيَّةُ الْقُرُودِ تَضَطَّهَدُكَ لَتَفُوقَكَ عَلَيْهَا فِي الذِّكَاةِ وَالْفَهْمِ ! .. الْحَالُ

وَاحِدٌ فِي دُنْيَا الْبَشَرِ وَعَالَمِ الْقُرُودِ ! »

ثُمَّ طَلَبَ مِنْ بَحَّارَتِهِ رِبْطَ الْقَرْدِ بِحَبْلِ يُثَبِّتُونَهُ إِلَى حَلْقَةٍ فَوْقَ سَطْحِ

السَّفِينَةِ كَيْ لَا تَقْدِفُهُ الْأَمْوَاجُ إِلَى الْبَحْرِ ، أَوْ يَنْزَلِقَ وَيَضِيعَ فِي الْمَاءِ

عِنْدَمَا تَمِيلُ السَّفِينَةُ بِشِدَّةٍ مَعَ الْأَمْوَاجِ .

ثُمَّ بَدَأَ الْمَلَّاحُونَ فِي رَفْعِ شِرَاعٍ بَعْدَ شِرَاعٍ ، وَاسْتَأْنَفَتِ السَّفِينَةُ

رَحَلَتَهَا إِلَى جَزِيرَةٍ أُخْرَى .

## ٨) إنه يستخرج اللؤلؤ

كانت أهم حرفة يقوم بها أهل هذه الجزيرة الثانية ، الغوص إلى قاع البحر لاستخراج اللؤلؤ ، فقد تميّزت المناطق البحرية حولهم بكثرة الأصداف التي تحتوى على أجمل اللآلي وأغلاها .

وسرعان ما بدأ بعض التجّار يستأجرون رجالاً يغطسون لحسابهم ، فيكون كل ما يستخرجه الرجل ملكاً لمن استأجره .

ورغم ارتفاع أجور الغطّاسين ، وجد التجّار أنّ ما يحصلون عليه من لؤلؤ متمييز بهذه الطريقة ، لا يكلفهم نصف ما دفعوه ثمناً لشراء لآلي الجزيرة الأولى .

وراقب القرد الغطّاسين يقفزون إلى الماء ، ثم يطلعون بلآلي يُسلمونها إلى التجّار على السفينة ، فيأخذها هؤلاء وعلامات الدهشة ترتسم على وجوههم .

ولم يتنبّه الشيخ عبد الظافر إلى تخلص القرد من رباطه ، ففوجئ به يقفز من المركب إلى البحر ويختفي تحت الماء .

صاح عبد الظافر في أسفٍ : « يا للخسارة ! فقدنا القرد الذي اشتريناه لحساب الكسلان ! »

لكن دهشته كانت طاغية هو وجماعة التجّار كلهم عندما ظهر القرد بعد قليل فوق سطح الماء وسط جماعة الغطّاسين ، وقد أمسك عدداً من أجمل اللآلي وأكبرها ، أسرع يرميها أمام الشيخ عبد الظافر .

وعندما رأى القرود علامات الدهشة على وجه الشيخ ، عاد يقفز  
إلى الماء مع الغطاسين مرةً ومراتٍ ، ثم يصعدُ ومعه كمياتٌ أكبرُ من  
اللائي ، حتى تجمّع أمام الشيخ ما يملأ كيسًا كبيرًا .  
كان ما جاء به القرود وحده يعادل كل ما فاز به بقية التجار  
مجتمعين !



صاح الشيخ وقد ملاءه الإعجاب :  
« إنه رزق عبد السلام الكسلان ، وهذا القرود سره عظيم ! »

### ٩ رُعب الاقتراب من الجزيرة الثالثة

اكتفى التجار بما حصلوا عليه من لؤلؤ ، وحلّ البحارة قلوب  
السفينة ، ودفعتها الرياح في طريق العودة .





لكن عاصفة عاتية فاجأتهم ، وظلت الأمواج تتقاذف السفينة  
يومًا وليلتين ، والبحارة لا يهدءون وهم يواجهون البحر الغاضب ،  
ينزلون شراعًا ويرفعون آخر ، لا يتوقفون عن نزح الماء الذي يغمر  
السفينة كلما أفرغوه ، ويعيدون ربط كل شيء لتثبيتته في مكانه ،  
فلا تتلاعب به تقلبات المركب مع الأمواج .



وعندما هدأت العاصفة ، اكتشف رُكَّاب السفينة أنهم فقدوا قواهم  
وطريقهم .. ضاعوا ولم يعودوا يعرفون إلى أين تتجه سفينتهم !  
صاح واحدٌ من البحَّارة : « نرجو من الله السلامة ، فلا نقرب من  
جزيرة صيَّادي الرؤوس ! »

أسكته الشيخ عبد الظافر : « إذا كنت تطلب السلامة فلا تلق الفرع  
في قلوب المسافرين معنا ! »

لكنَّ صيحة الشيخ لإسكات ذلك البحَّار لم تمنعه من تكليف بحارٍ  
آخر بالصعود إلى قمة صارية الشراع الكبير ، لمراقبة البحر حولهم ،  
وإخطاره فوراً بكلِّ ما يراه ، كي يبتعدوا في الوقت المناسب عن أية  
جزيرة تظهر عند الأفق .

وتهامس التجَّار يتساءلون في قلقٍ عن حقيقة وجود « صيَّادي  
الرؤوس » ؟

وبعيداً عن سَمع الشيخ وبصره همس لهم بعض البحَّارة : « هم قومٌ  
يكرهون الغرباء ويعتبرون كلَّ غريب عدواً .. وعندما يقع من يسوء  
حظهم بين أيديهم ، يحتفظون بهم سجناءً إلى أن يُقيموا حفلاً رهيباً  
حول نارٍ عظيمة ، يُلقون إليها الأسرى مُقيدين واحداً بعد الآخر ،  
يُراقبون احتراقهم ببطءٍ حتى الموت ، وهم يرقصون ويغنون على  
دقات الطبول كأنهم انتصروا في حربٍ .. »

كان الليل قد أقبل ، لكنَّ ضوء القمر أضاء بالكاد سطح المحيط  
المترامي .. ولم يذهب أحدٌ للنوم .. كلُّهم كانوا يترقبون ما قد تكشف  
عنه ظلمة الليل .

وَاشْتَدَّ خَوْفُهُمْ عِنْدَمَا سَمِعُوا الْبَحَّارَ يَصِيحُ مِنْ أَعْلَى الصَّارِيَةِ :  
« هُنَاكَ جَزِيرَةٌ إِلَى يَسَارِنَا .. »

وَانْدَفَعَ الْبَحَّارَةُ وَالتُّجَّارُ يُدَقِّقُونَ الْبَصَرَ ، فَرَأَوْا عَلَى مَسَافَةٍ  
كَبِيرَةٍ ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ عَدَمِ وُضُوحِ الرُّؤْيَةِ ، مَا ظَهَرَ كَأَنَّهُ جَزِيرَةٌ  
وَسَطَ الْمَاءِ .



صَاحَ الشَّيْخُ عَبْدُ الظَّافِرِ :  
« حَوْلُوا الدَّفْعَةَ لِنَتَجَهَّ إِلَى  
الْيَمِينِ » .

وَبَسْرَعَةٍ نَفَّذَ الْبَحَّارَةُ  
الْأَمْرَ ، لَكِنَّ الشَّيْخَ لَاحِظًا  
فِي قَلْقٍ أَنَّ السَّفِينَةَ وَاصَلَتْ  
اقْتِرَابَهَا مِنْ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ  
بَدَلًا مِنْ الْإِبْتِعَادِ عَنْهَا !!

قَالَ كَبِيرُ الْبَحَّارَةِ وَقَدْ اشْتَدَّ قَلْقُهُ حَتَّى أَصْبَحَ انْزِعَاجًا : « هُنَاكَ  
تِيَارٌ مَائِيٌّ يَقُودُ السَّفِينَةَ نَحْوَ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ الْغَامِضَةِ ، تَسَاعِدُهُ رِيَاحٌ  
تَهْبُّ فِي اتِّجَاهِهَا ! »

أَمَرَ الشَّيْخُ بَحَّارَتَهُ : « أَنْزِلُوا الْأَشْرَعَةَ وَاسْتخدمُوا الْمَجَادِيفَ » .  
وَسُرْعَانَ مَا صَعِدَ بَعْضُ الْبَحَّارَةِ يُنْزِلُونَ الْأَشْرَعَةَ لَوْقِفِ أَثَرِ الرِّيَّاحِ  
الْمُعَاكِسَةِ ، بَيْنَمَا انْدَفَعَ بَحَّارَةٌ آخَرُونَ يَسْتخدمُونَ الْمَجَادِيفَ لِمُقَاوَمَةِ  
التِّيَّارِ الْمَائِيِّ .. لَكِنَّ جُهُودَهُمْ جَاءَتْ مُتَأَخِّرَةً !!

فِي رَعْبِ صَاحِ الْبَحَّارِ الَّذِي يِرَاقِبُ الْبَحْرَ : « إِنَّهُمْ قَادِمُونَ !! »

كانت هناك نقاط سوداء كثيرة تتحرك ، سرعان ما اكتشفوا في  
فزع أنها قوارب طويلة تقترب .. عشرات الزوارق الخفيفة يُجدف  
فوقها مئات الرجال الأشداء عِراء الأجسام ..  
وكانت المسافة تضيق في كل لحظة بينها وبين السفينة ..

## ١٠ صيادو الرؤوس

صاح بحار في رعب : « إنهم صيادو الرؤوس !  
دفعت هذه العبارة بقية البحارة إلى بذل جهد جنوني في  
التجديف آمليين الابتعاد بمعجزة عن الزوارق الزاحفة ! ..  
لكن .. لا فائدة .. السفينة بغير شراع أبطأ كثيراً من القوارب ،  
وعدد من يُجدفون فوق كل قارب يتساوى مع عدد بحارة الشيخ  
عبد الظافر كلهم !

وقبل أن يدرك البحارة والتجار حقيقة ما يحدث ، كانت الزوارق  
قد أحاطت بهم ، وبدأ العِراء يقفزون في مثل مهارة القردة وخفتها  
ويتعلقون بجوانب السفينة .

ترك البحارة التجديف ، واندفعوا مع التجار يحاولون إبعاد  
المهاجمين ، مستخدمين كل ما وصل إلى أيديهم من أسلحة  
ومجاديف .

لكن الرجال العِراء تكاثروا كالنمل فوق ثمرة حلوة ، وامتلاً بهم  
سطح السفينة بسرعة عجيبة ، وانتشروا يفتشون كل ركن فيها .

وبعد معركة قصيرة حسمتها الكثرة ، وجد كل التجار والبحارة  
أنفسهم مقيدين بقسوة ، تلتف حولهم حبال مجدولة من ألياف الشجر ،



والرجال العراة يتسابقون لنقلهم إلى زوارقهم ، يلقون بهم إليها كأنهم  
أكياس بضاع ، فأصابت الكسور والرضوض عظام معظمهم .  
ثم انطلقت القوارب إلى شواطئ الجزيرة ، يحملها التيار الساري  
وسط ماء المحيط .

وكانما لإلقاء الرعب في قلوب الأسرى وإدخال اليأس إلى

نفوسهم ، قادهم صيادو الرؤوس من الشاطئ إلى مقر زعيمهم في طريق ضيق امتلأ على الجانبين بأكوام عظام وجمام بشرية بيضاء من أثر النار .

وأمر زعيمهم بحبس كل أسير مقيداً في قفص متين مصنوع من فروع الأشجار ، استعداداً لإقامة « حفل الانتصار » مساء اليوم التالي . لم يُغمض جفن لأى تاجر أو بحار ، وهم يتصورون فى رعب نهايتهم البشعة التى اقتربت ، بينما نام أهل الجزيرة يحلمون بنارهم القاتلة فى اليوم التالي !

### ⑪ ثمن النجاة الغالى

شئ واحد لم يخطر على ذهن صيادى الرؤوس .. وجهوا كل اهتمامهم إلى « الأعداء » من البشر ، وأغفلوا الحيوانات ، لذلك لم يتنبهوا إلى وجود القرد ! ..

فعندما انقض العرأة يحتلون السفينة ، انتقل إلى القرد الشعور بالفرع الذى اجتاح أصحابه ، فأسرع يتسلق صارى أعلى شراع ، وتشبث بمكانه المرتفع لا يتحرك .

وعندما بدأت الزوارق تندفع بأصحابه إلى الشاطئ مقيدين ، تبعها سباحة لا يلفت انتباه أحد ، فزوء القمر الشاحب لا يكفى لكشف قرد صغير يسبح فى هدوء على سطح المحيط الواسع .

ومن بين أغصان أشجار الجزيرة التى راح يتنقل فوقها بهدوء ، استطاع مراقبة ما يحدث ، وتابع الشيخ « عبد الظافر » فعرف

مكانَ القفصِ الذي حبسوه فيه . كما رأى كيف أغلق رجالُ الجزيرة  
تلكَ الأقفاصَ بوسيلةٍ بدائيةٍ ، تجعلُ من السَّهلِ فتحها من الخارجِ ،  
لكن يصعبُ على مَنْ يكونُ داخلَ القفصِ فتحه .

وعندما سادَ هدوءُ الليلِ الجزيرةَ إلا من صوتِ نحيبِ بعضِ التجارِ  
وبكائِهِمْ ، تسلَّلَ القردُ في صمتٍ إلى بابِ قفصِ الشيخِ ، وفتحَ بابَهُ .  
ولم يستغرقِ الأمرُ لحظاتٍ قليلةً حتى كانَ القردُ يقفُ بجوارِ الشيخِ  
المُلقي على ظهره فوق أرضِ القفصِ .

وخلالَ دقائقٍ فكَّ قيودَ الشيخِ ، وحرَّره من الحبالِ الغليظةِ التي  
أحاطتْ به في إحكامٍ ، وسبَّبتْ له آلامًا لا تُطاقُ . كانَ الألمُ قد امتدَّ  
من أطرافِ الأصابعِ إلى بقيةِ الذراعِ ، بسببِ متانةِ الرباطِ حولِ  
اليدينِ والساعدينِ .. ومع أنَّ الشيخَ لم يستوعبْ بسهولةٍ حقيقةَ  
المعجزةِ التي حرَّرتْهُ ، فقد تسلَّلَ بهدوءٍ إلى بقيةِ الأقفاصِ يُطمئنُ من  
فيها ، ويُنبِّههم إلى ضرورةِ الحرصِ على التمسُّكِ بالصِّمْتِ استعدادًا  
للخلاصِ .

همسَ التجارُ للشيخِ : « أنقذنا كما أنقذتَ نفسك يا شيخُ ! »

أجابهم : « لم يُخلصني بإرادةِ اللهِ تعالى إلا هذا القردُ .. أنا لم أعدُ

قادرًا على استخدامِ أصابعي .. خصَّصتُ

للقردِ ألفَ دينارٍ ذهبًا لأنه سببُ نجاتي

من موتٍ مُؤكَّدٍ » . قالَ التجارُ للشيخِ :

« ونحنُ مثلكَ .. كلُّ واحدٍ يُخصِّصُ له

ألفَ دينارٍ ذهبًا إذا خلَّصنا ! »



وَلَمْ يَنْتَظِرِ الْقَرْدُ وَعُودَهُمْ .. كَانَ يَعْمَلُ بِجِدٍّ وَسُرْعَةٍ عَلَى فَتْحِ أَبْوَابِ  
الْأَقْفَاصِ وَفَكَ قِيودَهُمْ .. وَكَمْ شَعَرَ الشَّيْخُ بِالْأَسْفِ لِأَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعِ  
الْمِشَارَكَةَ بِيَدَيْهِ فِي إِنْقَازِ الْبَحَارَةِ وَالتَّجَارِ ، لَكِنَّ مَهَارَةَ الْقَرْدِ  
وَسُرْعَتَهُ حَقَّقَتْ نَتَائِجَهَا الْعَجِيبَةَ ، فَلَمْ يَمِضْ وَقْتٌ طَوِيلٌ حَتَّى كَانَ  
قَدْ حَرَّرَهُمْ جَمِيعًا .

وَفِي هُدُوءِ حَمَلِ السَّلِيمِ مِنْهُمْ الْمُصَابِ ، وَتَسَلَّلَ الْجَمِيعُ إِلَى  
الشَّاطِئِ ، حَيْثُ عَثَرُوا عَلَى زَوَارِقِ الرِّجَالِ الْعُرَاةِ عِنْدَ حَافَةِ الْمَاءِ  
لَا يَحْرُسُهَا أَحَدٌ .. كَانَ الْمُتَوَحِّشُونَ مُطْمَئِنِّينَ إِلَى مَتَانَةِ أَقْفَاصِهِمْ ،  
فَلَمْ يَسْبِقْ أَنْ نَجَحَ أَحَدٌ أَسْرَاهُمْ فِي الْإِفْلَاتِ مِنْ مَحَارِقِهِمْ .





وَفِي صَمْتٍ نَزَلَ الْمُسَافِرُونَ إِلَى تِلْكَ الزَّوَارِقِ وَجَدَفُوا بِنَشَاطٍ  
إِلَى سَفِينَتِهِمْ ، حَيْثُ وَجَدُوهَا لَمْ يَنْقُصْ مِنْهَا شَيْءٌ .  
وَتَبَادَلُ الْقَادِرُونَ مِنَ الْبَحَّارَةِ وَالتَّجَّارِ التَّجْدِيفَ بِقُوَّةٍ ، فَلَمْ تُشْرِقْ شَمْسُ  
الصَّبَاحِ التَّالِيِ إِلَّا وَقَدْ ابْتَعَدُوا مَسَافَاتٍ كَبِيرَةً عَنِ الْجَزِيرَةِ الْمَشْتُومَةِ .  
جَمَعَ الشَّيْخُ التَّجَّارَ وَقَالَ لَهُمْ وَهُوَ يَتَنَهَّدُ فِي ارْتِيَاكِ :  
« اللَّهُ مَنَحَنَا السَّلَامَةَ بِسَبَبِ هَذَا الْقَرْدِ ، وَعَلَيْنَا الْوَفَاءُ لَهُ بِمَا تَعَهَّدْنَا  
بِهِ ، لَعَلَّ اللَّهَ يَحْفَظُنَا بِعِنَايَتِهِ بِقِيَةِ الرَّحَلَةِ حَتَّى نَعُودَ سَالِمِينَ إِلَى  
الْبَصْرَةِ » .

وَبغِيرِ تَرُدِّ أَخْرَجَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَلْفَ دِينَارٍ ذَهَبًا ، فَتَجَمَّعَ لِلْقَرْدِ  
وَصَاحِبِهِ عَبْدُ السَّلَامِ الْكَسْلَانِ قَدْرٌ عَظِيمٌ جَدًّا مِنَ الْمَالِ .

### ١٢ رِيحُ الدَّرَاهِمِ الْخَمْسَةِ

تَابِعَ عَبْدُ السَّلَامِ الْكَسْلَانُ حِكَايَتَهُ :

« مَا إِنْ لَمَسَتْ قَدَمُ الشَّيْخِ عَبْدِ الظَّافِرِ أَرْضَ الْبَصْرَةِ ، وَقَدْ اجْتَمَعَ  
حَوْلَهُ أَصْحَابُهُ يُهَنِّئُونَهُ بِسَلَامَةِ الْوُصُولِ ، حَتَّى كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ سَأَلَ  
الشَّيْخَ عَنْهُ .. قَالَ : أَيْنَ أَجِدُ عَبْدَ السَّلَامِ الْكَسْلَانَ ؟ »

وَعَرَفْتُ وَالِدَتِي خَبَرَ سِوَالِهِ عَنِّي وَهِيَ فِي بَيْتِ تَاجِرٍ كَبِيرٍ كَانَتْ  
تَسَاعِدُ زَوْجَتَهُ فِي بَعْضِ الشُّؤْنِ الْمَنْزِلِيَّةِ ، فَقَالَتْ لِي :

« الشَّيْخُ عَبْدُ الظَّافِرِ وَصَلَ عَلَي سَفِينَتِهِ وَهُوَ يَسْأَلُ عَنْكَ .. اذْهَبْ إِلَى  
بَيْتِهِ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، لَعَلَّ اللَّهَ تَعَالَى يَكُونُ قَدْ فَتَحَ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ لَكَ » .

وعندما رآني الشيخ تهللت ملامح وجهه ، وتلقاني بترحيبٍ حارٍّ  
لم أفهم سببه حتى بعد أن قال :  
« أهلاً بمن كانت دراهمه سبباً لنجاتي وخلص جميع التجار  
الذين كانوا معي » .

قلتُ لِنفسي وقد تصوّرتُ أنني لم أسمع جيداً ما قال :  
« كيف يُمكن لخمسَةِ دراهمٍ قليلةٍ أن تكون سببَ نِجاةٍ أكبرِ  
تاجرٍ في البصرة ، ومعهُ كلُّ التجارِ الذين سافروا على سفينتهِ ؟! ..  
والخلصُ من أيِّ شيءٍ يا ترى ؟! »

وانتشلني الشيخُ من أفكارِي عندما أشارَ إلى شيءٍ التفَّ حولَ نفسهِ  
في ركنِ قاعةِ الاستقبالِ بداره الكبيرة ، وقال :  
« خذْ هذا القردَ فهو ملكك ، اشترَيْتهُ لك بدراهمك الخمسةِ ..  
اذهبْ به إلى بيتك حتى أجيءَ إليك .. إنه في حاجةٍ إلى عنايةٍ لن  
يجدها إلا معك ! »

أصابتني خيبةٌ أملٍ عندما خرجتُ أحملُ القردَ بين يدي ، بينما  
يتطلّعُ هو إلى وجهي يتأملني بطريقةٍ لا أفهمها !!  
« هل يُمكنُ أن تكونَ هناكُ أيةُ علاقةٍ بينَ هذا الحيوانِ الذي





لا يُجيدُ إلا تقليدَ حركاتِ الإنسانِ ، وبينَ « النجاةِ » التي يتحدّثُ  
 عنها الشيخُ عبدُ الظافرِ بكلِّ هذه الحرّارةِ « ؟!  
 عدتُ إلى الدّارِ أقولُ لوالدتي ساخرًا كي أخففَ من شعوري  
 بالإحباطِ :

« هل تعرفين شيئًا عن تجارة القروود التي لا سوق لها في  
 بغداد » ؟!

ووضعتُ القردَ بيننا وأنا أضيفُ وقد طغى الضيقُ على مشاعري ،  
 بينما والدتي لا تفهمُ شيئًا ممّا أقولُ : « هذا هو الرّبحُ العظيمُ الذي  
 جاءتُ به من الصينِ دراهمنا الخمسةُ المباركةُ » !  
 وكانتُ والدتي بعدَ يومينِ لا تزالُ تبحثُ بغيرِ جدوى  
 عن كلماتٍ تخففُ بها ما أصابنا من إحساسٍ بضيقِ الأملِ ، مهما كان  
 هذا الأملُ متواضعًا ، عندما سمعنا طرقاتٍ قويةً على بابِ البيتِ .  
 قفزتُ بسرعةٍ لأفتحهُ ، ففوجئتُ ببعضِ العاملينِ في متجرِ  
 الشيخِ عبدِ الظافرِ يسألونني :

« هل أنتَ عبدُ السلامِ الكسلانُ ؟ »

فلَمَّا أَجَبْتُهُمْ بِالْإِجَابِ قَالُوا :  
« سَيِّدُنَا عَبْدُ الظَّافِرِ فِي الطَّرِيقِ إِلَى هُنَا لَزِيَارَتِكَ ، وَأَرَادَ التَّأَكُّدَ مِنْ  
وَجُودِكَ بِالْدارِ » .

سَأَلْتُ نَفْسِي فِي حَيْرَةٍ :  
« مَا الَّذِي يَحْمِلُ الشَّيْخَ الثَّرِيَّ عَلَى المَجِيءِ إِلَى بَيْتِي المُتَوَاضِعِ ،  
وَقَدْ تَسَلَّمْتُ مِنْهُ فِعْلًا مَا اشْتَرَاهُ بِكَامِلِ دَرَاهِمِي التَّعْيِيسَةِ » ؟  
وَوَصَلَ الشَّيْخُ بِنَفْسِهِ بَعْدَ قَلِيلٍ ، فَقَمْتُ أَرْحَبُ بِهِ ..

قَالَ : « هَيَّا مَعِيَ إِلَى دارِي » :  
تَبَادَلْتُ النِّظَرَاتِ المُتَسَائِلَةَ مَعَ أُمِّي ، فَمَاذَا يُمَكِّنُ أَنْ أَجِدَ فِي بَيْتِهِ  
إِلَّا عِدَدًا آخَرَ مِنَ القُرُودِ الَّتِي أَصْبَحْتُ كُلَّ حَظِّي وَنَصِيبِي مِنْ سَفَرِيَّاتِ  
أَكْبَرِ تاجِرٍ مِنْ تِجَّارِ البَصْرَةِ إِلَى الصِّينِ ؟

### عَشْرَةٌ صِنَادِيقٌ (١٣)

جَلَسْتُ مُرْتَبِكًا فِي نَفْسِ قَاعَةِ الضِّيُوفِ الَّتِي سَبَقَ أَنْ اسْتَقْبَلَنِي فِيهَا  
الشَّيْخُ عِنْدَمَا سَلَّمَنِي « الأَمَانَةَ الغَالِيَةَ » الَّتِي حَمَلَهَا لِي خِصِيصًا طَوَالَ  
الطَّرِيقِ مِنْ تِلْكَ البِلَادِ الأَسْطُورِيَةِ البَعِيدَةِ !



سمعتُهُ يقولُ : « بالأمسِ فقط انتهيتُ من نقلِ ما كانَ على السفينةِ إلى داري » .

ثم أشارَ إلى بعضِ العاملينَ عندهُ ، وأمرهم قائلاً :

« أحضروا الصناديقَ الخاصةَ بالسيِّدِ عبدِ السلامِ الكسَّانِ !

لَمْ أفهمُ ماذا يقصدُ ، ولا عن أيةِ صناديقٍ يتحدَّثُ ، ولا لماذا ،

للمرةِ الأولى ، يسبقُ اسمي بلقبِ « السيِّدِ » ؟!

هل يُريدُ أن يؤكدَ لعمَّالِهِ لسببِ ما ، أهميةَ شخصيتي ؟!

راقبتُ العمَّالَ كأنِّي في حُلْمٍ يقظةً ، وهم يضعونَ أمامي عشرةَ

صناديقَ والشيخُ يقولُ لي ، بغيرِ أنْ أُصدِّقَ طبعاً أنْ ذلكَ الحديثُ مُوجَّهٌ

حقيقةً لي أنا : « لقد فتحَ اللهُ عليكَ بهذهِ الأموالِ واللآلئِ من ربحِ

الدراهمِ الخمسةِ » .

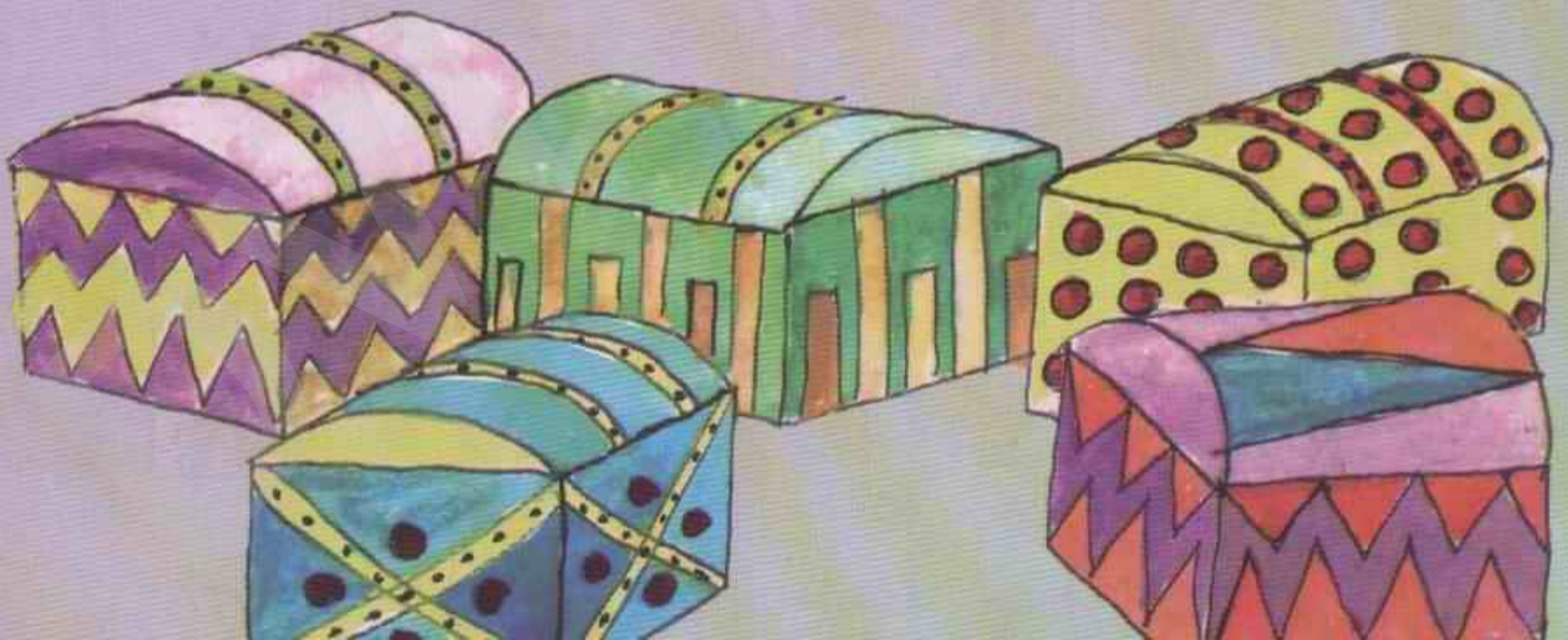
لَمْ أنطقَ بحرفٍ حرصاً على الأدبِ ، فلا شكَّ أن الرجلَ يسخرُ

منِّي ، أو لعلِّي في حُلْمٍ أعاني من الهلوساتِ .

لكنَّ الشيخَ عادَ يأمرُ العمَّالَ ، فحملوا الصناديقَ فوق رؤوسهم .

ووجدتُهُ يضعُ بينَ يديَّ عددًا من المفاتيحِ ، ويقولُ في ببطءٍ ووضوحٍ

لينيِّقْذني منْ زُهولي :



« احرص على هذه المفاتيح ، فلا يمكن فتح صناديقك المتينة  
بغيرها ، وامش امام عمالي لترشدكم إلى طريق بيتك » .  
ولعله لاحظ أنني لم أصدق شيئاً مما قال ، فتمهل قبل أن يضيف  
في تأكيد : « كل هذه الثروة لك ! »

همستُ لِنفسي في استنكار :

« عن أية ثروة يتحدث ؟ ! »

مشيتُ عاجزاً عن التفكير والتركيز مثل السائر في نومه ،  
فالصناديق عددها كبير ، لكن الشيخ لم يفتح واحداً منها أمامي ،  
ولا أستطيع تصديق أن واحداً منها يمكن أن يحتوي حقاً على مالٍ  
أَوْ جواهر !

أخيراً دخل العمال بيتنا ، ووضعوا الصناديق بيني وبين الدتني  
والقرد يراقبنا ، وانصرفوا .

سألتني والدتي في دهشة : « ما كلُّ هذا ؟ ! »

قلتُ : « من المؤكد أنها ليست قروداً أخرى !! »

وفتحتُ الصندوق الأول ! ..

كدتُ أفقد عقلي !!

بريقُ الذهب خطفَ بصري !!

الصندوق ملآن حتى حافته بالدنانير الذهبية !!

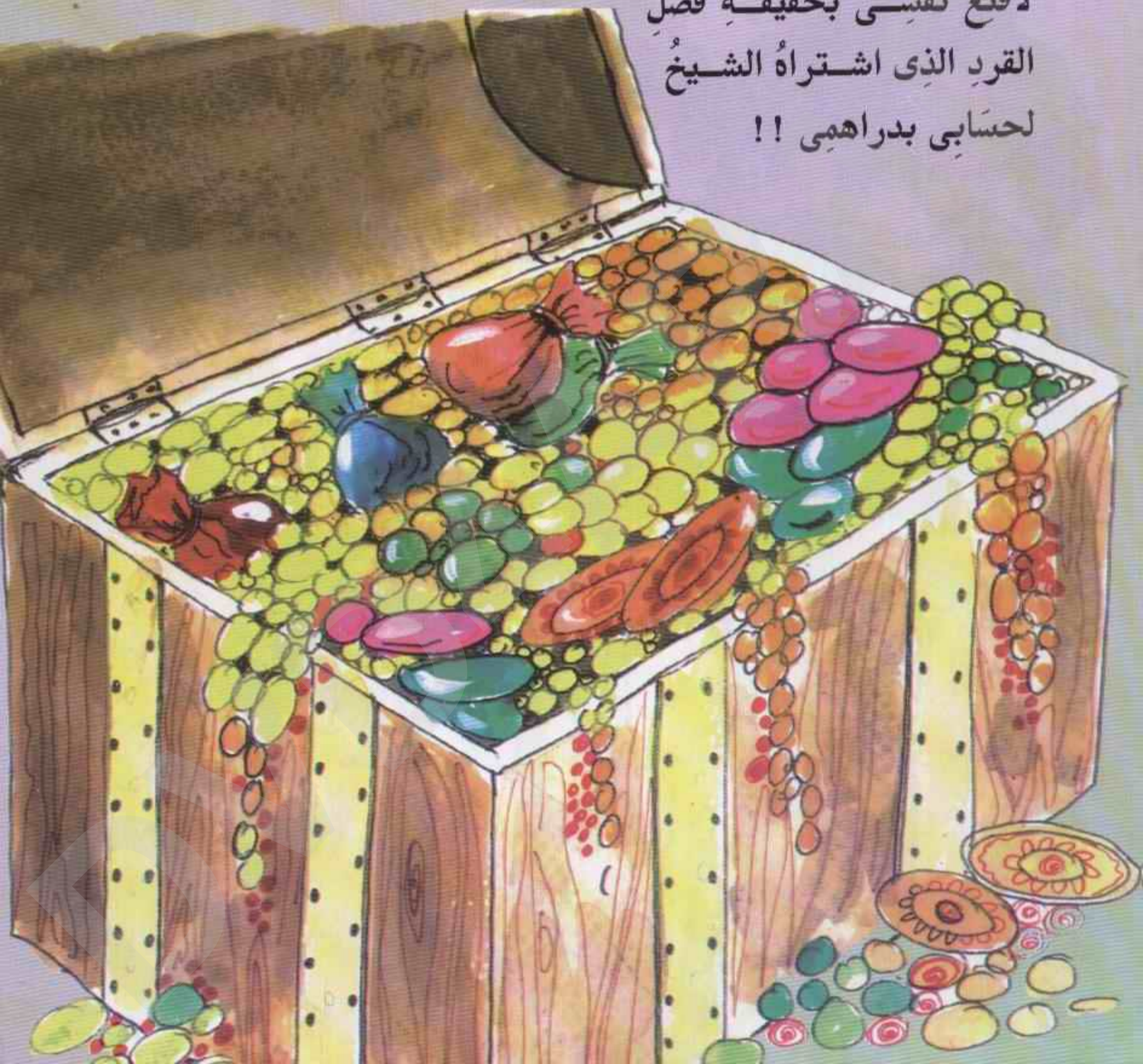
ووجدتُ نفسَ الأكوام من الذهب الأصفر اللامع في الصندوق الثاني

والثالث وحتى التاسع ..

أَمَّا الْعَاشِرُ وَالْأَخِيرُ وَكَانَ أَكْبَرَهَا ، فَمُكَدَّسٌ بِلَالِي لَا تَتْرُكُ فِرَاغًا  
لشئٍ آخَرَ ..

## ١٤) خَمْسَةُ دِرَاهِمٍ مُبَارَكَةٌ

قَالَتْ وَالِدَتِي وَوَجْهَهَا يُشِعُّ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي حَيَاتِهَا بِنُورِ فَرَحٍ  
حَقِيقِي : « الْآنَ تُصَدِّقُ أَنَّهَا خَمْسَةُ دِرَاهِمٍ مُبَارَكَةٌ !  
وَهِيَ مُبَارَكَةٌ حَقًّا وَبِغَيْرِ حُدُودٍ ، وَإِنْ كُنْتُ قَدِ احْتَجْتُ إِلَى وَقْتٍ  
لَأُقْنِعَ نَفْسِي بِحَقِيقَةِ فَضْلِ  
الْقَرْدِ الَّذِي اشْتَرَاهُ الشَّيْخُ  
لِحَسَابِي بِدِرَاهِمِي !!



مدينة البصرة انشغلت بأسرها ، على مدى أسابيع طويلة ، بأخبار

القرود وحكاياته الفريدة !!





أصبحتُ أعاملُهُ كأنه أخي ، ووالدتي أحبته كابنها .  
أصبحنا صديقين لا نفترقُ ، يتفاهمُ أحدهنا مع الآخر في ودٍّ ومرح  
بكلِّ الوسائلِ : بالإشارة ، بملامح الوجه ، بل بالكلمات التي أصبح  
يفهمُ معنى الكثير منها .

وفتحتُ متجرًا في سوقِ الذهبِ أبيعُ فيه اللؤلؤَ والماسَ وأنواعَ  
التُّحفِ والجواهرِ الغالية ، والقردُ يجلسُ إلى جوارى فوق مقعدى ..  
إذا أكلتُ يَأْكُلُ معي ، وإذا شربتُ يشربُ معي ، ويُصَفِّقُ بيديه عندما  
يراني أعطى من مالى بسخاءٍ لأبي فقيرٍ أو محتاجٍ .  
ثم فوجئتُ به ذاتَ صباحٍ يتركُّني ، ويعودُ مع الظُّهرِ ، يحملُ كيسًا  
من الجلدِ عليه كتاباتٌ بعلاماتٍ غريبةٍ .

فتحتُ الكيسَ ، وفوجئتُ عندما وجدتُ به ألفَ دينارٍ عليها كتابةٌ  
بنفسِ العلاماتِ .

الكتابةُ الغريبةُ أَكَّدَتْ لِي أَنَّ الكيسَ والدنانيرَ تعودُ إلى زمنٍ سابقٍ  
لا علاقةَ له بأحدٍ من الأحياءِ .

وأصبحتُ تلكَ عادتهُ .. يغيبُ أولَ النهارِ ، ويعودُ في منتصفهِ  
بكيسٍ جديدٍ وألفِ دينارٍ كاملةٍ .

حَدَّثْتُ نَفْسِي :

« لقد عثرَ على خزانةٍ نسيها أصحابُها القُدماءُ ، يذهبُ إليها خُفِيَّةً  
عَنِ العيونِ ، ويُحْضِرُ كيسًا كلَّ يَوْمٍ » .

لكنه ، ذاتَ يَوْمٍ ، بدلَ أَنْ يُحْضِرَ لِي كيسَ الدنانيرِ المُعتادَ ،  
جاءَ لِي بواحدةٍ من هَذِهِ الأشجارِ التي مِنْ ذهبٍ وأوراقها مِنَ الزُمُرِّدِ

الأخضر وثمارها من الياقوت الأحمر واللؤلؤ الأبيض .  
تأكدت أنه اكتشف الطريق إلى مدخل كنز مذهل ، وعندما وجدني



أَبِيعُ وَأَشْتَرِي التُّحَفَ وَالْجَوَاهِرَ بَدَأَ يُحْضِرُ لِي مَا تَصَوَّرَ أَنَّنِي فِي حَاجَةٍ إِلَيْهِ .

حَاوَلْتُ أَنْ أَعْرِفَ أَيْنَ يَذْهَبُ ، وَكَيْفَ يَأْتِي بِكُلِّ هَذِهِ التُّحَفِ وَالثَّرَوَاتِ الْمُدْهَشَةِ الَّتِي لَا تَنَاسِبُ إِلَّا قُصُورَ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، لَكِنَّهُ ظَلَّ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْهَمَ لِمَاذَا تَشْغَلُنِي الْحَاجَةُ إِلَى مَعْرِفَةِ مَكَانِ الْكَنْزِ مَا دَامَ يُحْضِرُ لِي مِنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَزِيدًا !

وَذَاعَتْ شَهْرَتِي بَيْنَ الْخُبْرَاءِ ، فَمَا يُمَكِّنُ الْعَثُورَ عَلَيْهِ فِي مَتَجَرِي لَنْ يَجِدُوهُ فِي أَيِّ مَكَانٍ آخَرَ مِنْ بِلَادِ الْخِلَافَةِ .

وَطَالَمَا تَمَنَّيْتُ أَنْ أَقْدِمَ لِمَوْلَايَ الْخَلِيفَةِ بَعْضَ هَذِهِ الْعَجَائِبِ الَّتِي لَا تَنَاسِبُنِي ، وَلَا تَلِيْقُ إِلَّا بِمَقَامِ السَّلْطَانِ الْأَعْظَمِ مَوْلَانَا الْخَلِيفَةِ هَارُونَ الرَّشِيدِ .

### ١٥) بِهَا يَكْتَمَلُ التَّاجُ

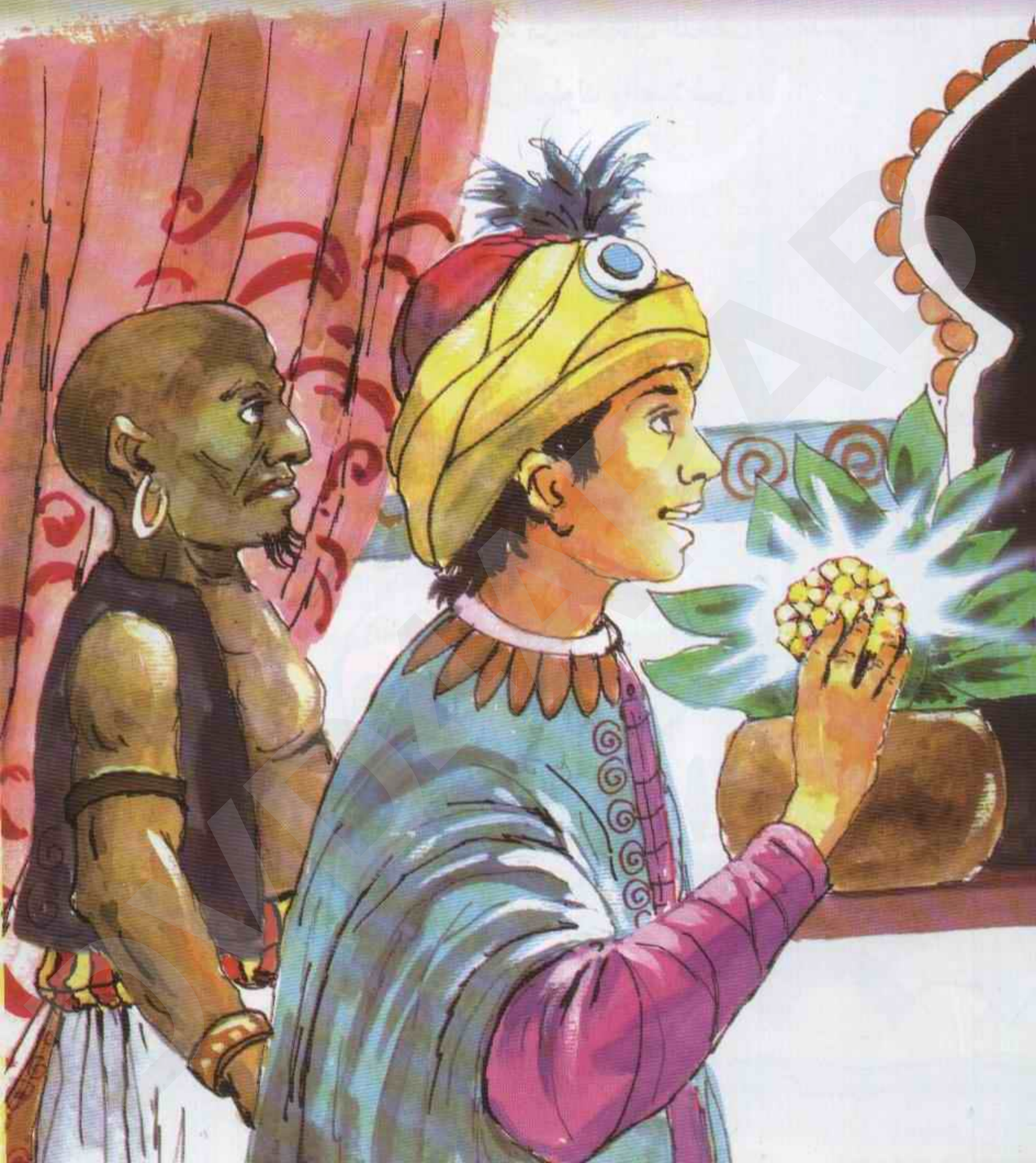
تَمَهَّلَ تَاجِرُ اللَّوْلُؤِ وَالتُّحَفِ الْمَشْهُورُ « عَبْدُ السَّلَامِ الْكِسْلَانُ » قَبْلَ أَنْ يَخْتَتِمَ حِكَايَتَهُ قَائِلًا : « وَمِنْذُ أَسَابِيعَ جَاءَنِي الْقَرْدُ فِي حِلْمٍ يَقُولُ لِي : دِرَاهِمُكَ أَنْقَذْتَنِي مِنْ عَدْوَانِ قُرُودِ جُزْرِ الْبَحْرِ ، وَقَدْ جِئْتُ لَكَ بِالثَّرْوَةِ الَّتِي لَمْ تَبْخُلْ بِهَا يَوْمًا عَلَيَّ الْمُحْتَاجِينَ ، وَالْآنَ حَانَ وَقْتُ عَوْدَتِي إِلَى أَرْضِي .

وَفِي الصَّبَاحِ بَحِثْتُ عَنْهُ ، فَلَمْ أَعْثُرْ لَهُ عَلَى أَثَرٍ . وَكَانَ آخِرُ مَا أَتَانِي بِهِ ذَلِكَ الْقَرْدُ الْعَجِيبُ ، هَذِهِ الْجَوْهَرَةُ النَّفِيسَةُ » .

وأدخل عبد السلام يده بين ثيابه ، وأخرج ماسيةً في مثل  
حجم بيضة الدجاجة ، يُشعُّ منها الضوءُ ويتلألأ ، وينعكسُ في ألوانٍ  
مذهلةٍ عن أوجهها المصقولة المتعددة .



مَا إِنْ رَأَى الْخَلِيفَةُ الْمَاسَةَ الْنَادِرَةَ حَتَّى صَاحَ وَقَدْ تَمَلَّكَتْهُ  
الدَّهْشَةُ الْبَالِغَةُ : « هَذِهِ هِيَ الْجَوْهَرَةُ الْمَطْلُوبَةُ .. أَوْقِفُوا الْبَحْثَ  
عَنْهَا فَقَدْ وَجَدْنَاهَا .. بِهَا يَكْتَمَلُ التَّاجُ ، وَتَعْظُمُ قِيَمَةُ الْهَدِيَّةِ ، وَتَصْفُو  
النَّفُوسُ وَتَرْضَى ! »



ثم التفت إلى ضيفه وأضاف :

« أمّا أنت يا « عبد السلام » ، فلن نناديك بعد اليوم « الكسلان » ..

اسمك منذ اليوم « عبد السلام البصري » ، واخترناك لتكون « شهبندر »

تجار البصرة ، تأتي لتشاركننا ليالي السمر ، نستمع إلى حكمتك

وأخبارك ، وتختار لنا ما نشتره من عجائب التحف ، نُقدّمها هدايا

إلى الزوجة .. وإلى الأصدقاء من الملوك والسلاطين .





## أنشطة حول القصة :

نقترح عليك أن تشترك في أحد ، أو كل الأنشطة

الآتية :

١ - قالت والدة عبد السلام إن الدراهم الخمسة « نقود مباركة » ، هل ترى أنها كانت مباركة حقاً ؟ ولماذا قالت هذا التعبير ؟

٢ - هناك شيءٌ مُتشابهٌ في علاقة عبد السلام بالطبيب ، وعلاقته بالسيدة العجوز المريضة ، وعلاقته بالقرود ، هل هو المصلحة المتبادلة ، أم الاهتمامُ الإنسانيُّ بالآخرين ؟

٣ - ما هي في رأيك أهم ملامح شخصية التاجر « عبد الظافر » ؟ اذكر أهم مواقف القصة التي تُبين ما يتصف به هذا التاجر من صفات .

٤ - هل كل وقائع هذه القصة مُمكنة الحدوث ؟ تحدث ، من وجهة نظرك ، عن دور الخيال في أحداثها .

٥ - تحدث عن الصورة التي رسمتها في خيالك حول حقيقة شخصية القرود .